

المشرق

الاصطياف في لبنان

للشباب الاديب ميشال افندي الياس سماحه

١ التواصل والممران

لجبال سويسرة في بلاد اوربة شهرة عظيمة من حيث بهاء المناظر الطبيعية وحسن المناخ وصفاء الجو واعتدال الهواء في أيام الصيف ويقول العارفون بطبائع البلدان ان جبال لبنان تماثلها من عدة وجوه الا انها خلت من معدّات الراحة وتسهيلات التواصل التي تبلغ في سويسرة الغاية في الاتقان والترتيب. ولذلك لا عجب اذا قصدتها الراغبون وانما للمصطافون من شتات الجهات وابعاد البلاد في العالم المعسور فان في احتلال ربوعها راحة للبال وراحة من عناء الاعمال وترويضاً للجسم بعد متاعب الاشغال

هذا وليس بخاف ما كان عليه لبنان بالسابق من صعوبة المواصلات فلا تزال آثار طرقة القديعة التي كان يسير عليها المكارون باقية الى الآن تحدثنا عن مشاق التجول وصعوبة التنقل في غابر الأيام. وقد حالت دون ذلك موانع كثيرة لا حاجة لذكرها في هذا المقام كانت عثرة في سبيل التقدم وتسهيل اعمال المواصلات لممران البلاد. غير ان في اواسط القرن الاخير هب الاهلون بنشاط عظيم وشتموا عن ساعد الجذ والجهد وهبوا للتواصل طرقاً كثيرة امتدت فروعها الى اكثر جهات لبنان ولا تزال شرايينها تتشعب بين القرى والبلاد حتى هذا اليوم. ثم لم توشك شمس ذلك القرن ان توافي

المنيب حتى سمعنا صوت صغير البخار يدوي من فوق اعالي تلك الجبال الشاهقة تردّ صدهُ انكهوف المجاورة والادوية البعيدة الاغرار وعائناً البطار الحديدي يسير بانتظام قائماً بجهمة التواصل والنقل احسن قيام مذلاً الصعاب ومواصلاً على جناح السرعة بين القرى والبلاد يحترق الاودية والهضاب لا يوقف عزائمه ادراك اعالي الصروح والقمم ولا يوهن قواه حرّ ولا قو ولا يثنيه عن السير لا سقوط الثلوج ولا هبوب الرياح والأعاصير وقد بادر اللبنانيون الى بناء البيوت الفخيمة وتشيد المنازل الشاهقة ورجب البعض لاسيما منذ بضع سنوات في تنظيم البساتين والجنائن وغرس الاشجار المثمرة واستنابت الزهور والرياحين وتنسيق الاراضي واصلاحها فعولوها الى رياض يانمة وغياض يكسو الاخضرار تراها بجنانل سندسية وعدت في اشهر قرى لبنان المعدّات اللازمة لراحة المصطافين وتوفرت الاسباب السهلة لاشراخ وانبساط القاصدين فاضحت كأريكة غشّاء يجد الراغبون تحت سائها سلاماً وسروراً وارتياحاً وجوراً . لاسيما ان اهل تلك القرى قومٌ ودعاء يكرمون الغرباء ويحئون مقام الكرام . كيف لا وقد نبغ فيهم رجال أعلام سواء بالعلم والنضل والتأليف والتصنيف . وللرحوم الشيخ نجيب الحداد الشاعر المصري قصيدة مشهورة في وصف لبنان واهله تقتطف منها هذه الايات :

قف في ربي لبنان بين وهاده	واقرا السلام لاهل وبلاده
جبل بارض الشرق قام وقوفه	قد قامت الاطواد من افراده
اتقى قوساً من بياض ثلوجيه	واسخ جوداً من سبل عهاده
واشد من آساده واشم من	اطواده واعز من أنساده
قوم لم عن سوام رفته	مثل ارتفاع الطود من اجاده
حازوا الفخار قديمه وحديثه	والمجد بين طرفيه وتلاده
شوق الى تلك الدبار واهلها	شوق المريد الي بلوغ مراده . .

٣ اخلاق المصطافين

نشاهد من اخلاق أكثر القاصدين الينا من عالم اوربة ولما شديداً واهتماماً زائداً بما يستونه بالتمرين العضلي او الرياضة البدنية وزاهم اذا خرجوا للترمة او قصدوا المصيف في احدى الجهات يجولون جل اهتمامهم لمثل هذه الاعمال التي من شأنها تنشيط القوى البدنية فضلاً عن التسلية في ساعات الفراغ وقد أولع البعض في الصيد فيقطعون المراحل الشاسعة غير مباليين بالتعب ولا

متأين من العنا. ويسودون وملاح السورر بادية على وجوههم سمات الانشراح والنشاط ظاهرة على ابدانهم. ومثل هؤلاء يجدون في رُبى لبنان وادغاله واوديته ما يقضي رغبتهم اماً غيرهم وكثير ما هم قائم يجرون الديار في فصل الاقيظ وغايتهم الابتعاد عن كل عمل مزعج شاق ينهك القوى ويتعب البدن ليخلدوا الى الراحة والسكون ويأنسوا بالعيشة الاهلية ويرتاحوا الى فراغ البال من كل بلبال. وقد اشتهر بذلك المصطافون في فواحي كاليفرنية قائم يقصدونها لما يجدون فيها من اسباب الراحة والدعة وهدو الفكر. وليت شعري اي بلد يضاحي في ذلك مشارف لبنان فان اهله قد عرفوا بدين طباعهم وسذاجة معاشهم ومن يقصده في الغالب قوم يحبون العزلة والانفراد ويرتاحون الى السكينة والطمانينة

هذا قولنا اجمالاً ولما كان من الواجب ايضاً الموضوع حقاً من حيث الوصف وكثاً قد عايناً خطّة ذميمة قد راح يزاولها بعض الافراد من قاصدي لبنان الذين لم يعرف لهم صفة في مدة اقامتهم في تلك الربع سوى الانكباب التواتر على موارد القمار. وقد تقنم لنا كلام مطول عن قبح هذه العادة وسوء نتائجها على صفحات هذه الجلة في العدد ١٥ من العام الماضي (المشرق ٦٧٠: ٦٧٦) حق انا سمعنا مراراً عديدة من افواه كثيرين وخصوصاً من الغريباء التجولين انتقاداً شديداً على انتشار هذا الداء لاسيا في بعض القرى التي يلعبها البعض بمتوكارلو الصفيير. ومن العجب العجاب ان عناق هذا الفن يدعون كونهم يطلبون لبنان للمصيف والراحة والانشراح والترهة وهر قول باطل يضحكون به من انفسهم كيف لا وهم يألون تلك العادات السيئة التي لا ينتج عنها في واقعة الحال الا عكس ما هم يرغبون بتبيح اعصابهم وضك فكرهم وقتل بالهم

هذا وليس بخاف ما يحتويه لبنان من المناظر البديعة والمشاهد الطبيعية والمواقف الجميلة ما تعرّ له عين الناظر ويسرّ بمرآه الحاضر فضلاً عن شهرته بمدوبة الماء وطيب الهواء وجودة المناخ. وقد هل لنا برمد اوربة في العام الاخير تقرير مندوبي المؤتمر الطبي الممقد لداء السل بناء مستشفى لهذا الداء في جبل لبنان وما ذلك الا لحسن هوائه وجودة مناخه. ولما كان من الثابت المشهور ان مخالطة اعلاً. هذا الداء العقيم تورث العدوى سرّاً ما رأيناه في السنين الاخرة من اجمام اصحاب الفنادق وعدول ارباب

النسائل التي يوسم الايجار قبول المرضى وبالاخص اعلاء هذا الداء حرصاً منهم على الصحة الصومية وصوناً لحسن سمعة محلاتهم. كما وأتينا عايناً من اطباء الحكومة في بعض القرى اهتماماً شديداً والتفتاتاً زانداً للبحث والتنقيش عن الاعلاء وعدم الترخيص لذويهم بالاقامة معهم الا على انفراد وبمغزل عن القوم

٣ مذكرة رقيب

ان عدد الذين يؤمنون بلاد الشام من النرباء ويقصدون لبنان من المصطافين لا يزال في ازدياد ومع ما هم عليه الاملون من الاحتياج الى دليل مفيد يعرف احوالها وينبئ عن اعمالها وتجارها واصناف مصنوعاتنا وانواع محصولاتها وكيفية معاملتها الى غير ذلك لم يهتم الادباء لوضع مؤلف بهذا المعنى ولم نسمع ان لاحد منهم كتاباً جامعاً للصفات المرغوبة والبيئات المطلوبة خصوصاً وان البلاد بافتقار شديد الى دليل مطول يفيد القوم علماً بما ينبغي لهم معرفته وبالاخص ما يحتاج اليه القاصد القريب الذي يدعوه المثل العامي « اعنى ولو كان بصيراً ». وقد عثنا بالامس بينما كنا نطالع في مكتبة صديق ودود على مذكرة وجيزة حديثة وضمتها قبل ثلثي او عشر سنين الدكتور الافوكاتو احمد بك شافعي المصري عنوانها « هدية الامام لمن قصد بر الشام » فرأينا ان تقتطف منها بعض شذرات فيها تفكحة للقراء سيما انها خطت بقلم زائر غريب وراقب موصي. فمن قوله في المقدمة ما هو بحرفه: « لاحظنا زيادة اقبال اخواننا المصريين على المصيف بجهات سورية وعلى الاخص في جهات لبنان كما شاهدنا ذلك في الصيف الماضي فسرنا هذا الامر مزيد السرور لما فيه من الاقتصاد للآذي والفائدة الصحية لاخواننا المصريين ومزيد النفع الذي يعود منه على اخواننا السوريين

« هذا من الجهة المادية واما من الجهة الادبية فقد لاحظنا مع مزيد السرور ايضا بان المصري يرجع من سورية وقد ترع منه ما كان يتوهمه من وجود نوع فظاظه وغلظة في طباع سكان سورية ويتبين بنفسه ان تلك الفظاظه والغلظة لا توجد الا في طباع الطبقة السافله من السكان كما هو شأن كل البلاد ويرجع المصري ايضا من سورية وقد ثبت له امر مهم جداً وهو استتباب الأمن العام في جبل لبنان وسورية شرقاً وغرباً ليلاً ونهاراً

« واما ما يعود على المصري من النعمة الصحية فهذا امر زى من النافل اطالة

الشرح فيه سيما اذا امكن المصري ان ينتقي ويختار النقطة اللازمة والمواصلة لصيفه
فلذلك جعلت هذا الامر الموضوع الوحيد لهذه النشرة . وعمّا جعلني على يقين من اقبال
المصريين على المصيف في جهات سورية هو ان نتيجة من ارقاء المصريين قد فضلوا
المصيف في هذا العام في تلك الجهات على جميع جهات اوربة واذكر بينهم ف... فانه
لما اصابه من الامراض العديدة المتنوعة قصد في الماضي اغلب جهات اوربة التماساً
للمسافة وترويح النفس فلم ينل شيئاً من ذلك وما طاب له العيش الا في جهات
سورية ولبنان وعاد مثلياً على ما لقيته من طيب الهواء وعذوبة الماء . ومن حسن اخلاق
ومعاملة سكانها اه

ثم عدت انكاتب بايجاز لشهر بلاد الشام واهم قرى لبنان التي زارها وعرف
ارتفاع براكرها عن سطح البحر وشكا عند كلامه عن مدينة بيروت اشتداد
حرارتها في ايام الصيف ووصف دمشق الشام بمحسن التترحات وارتأى ان كثرة فاكحتها
مجلسة للحيات . ثم ذكر عين الفيحة وقرية النيك وبطبك وزحلة ورأى ان هواءها كثير
التقلب ثم شوره وعين صوفر ومجدرون وعاليه ومكين وسوق الغرب وبكفياً وتشكى
من كثرة توتها ثم بيت مري وقد اظن بوصف موقعها وغاباتها وحسن هوائها وضرب
صفحة عن قلة ماها

فيسرنا ان نرى كمثل هذا الاهتمام في كاتب مصري ونشكر اعتناء هذا الاديب
في نشر هذه المذكرة وتدوين هذه الافادات بين مواطنيه وان تكن قطرة من قلم
ونقطة من بحر مما يجب ذكره عن احوال البلاد . غير ان ذلك لا يبغض صاحبها حق
الفضل . ومزيد الشكر . وعسى محي التأليف من ادباء بلادنا يهتمون بتصنيف كتاب في
هذا المعنى يجمع لشتات القوائد والمعلومات فلا شك انه يلقي تمام الراجح ومزيد الاقبال
ولما كنا قد اتينا على ذكر اشهر قرى لبنان رأينا من المدل وانما للبحث ان لا
نبغض حقوق بعض القرى التي سكت انكاتب عن ذكرها وقد اشتهرت في السنين
الاخيرة أوها كثيرون من الراغبين والمصطافين لحسن هوائها وجودة ماها كمين زملنا
وهي مع شلالها من احسن مناظر الطبيعة ثم شلان وعيناب وبرمانا وتحوي هذه
انظم المطاعم واتقن الفنادق تاهيك عن فخامة موقعها وتوسط واعتدال مركزها ثم
قرية الحنشارة وهي مشهورة بنيسها العليل وماها العذب وتكتنفها غابات من الصنوبر

التي لا ينفك نسيم رطيب لطيف يلاعب اغصان اشجارها فيسمع الجالس تحت ظليلها صوتاً رخياً ينش فؤاد العليل الباكي . ثم ظهور مرحاتا (الشوير) وهي على مرتفع يقارب علوه ١٢٠٠ متر فوق سطح البحر يشرف على قرى الشوف والمثق وكسروان ويطل على البحر فيعابن منه الناظر مشهداً جميلاً بديماً . وهذه الجهة لم يقصدها المصطافون إلا في السنين الاخيرة ولم يكن هناك بناء للاقامة ولا فنادق لتزول القاصدين فكان المصطافون يضربون اوتاد خيامهم تحت اشجار الصنوبر وبين دولي العنب المنتشرة . والبعض كانوا يسرون بنصب الخيام من اغصان الاشجار . وقد دعا ازدياد الاقبال في العام الاخير على تلك الجهة الى تنشيط الاكثريين من اصحاب الاملاك الى بناء الفنادق وإعداد المطاعم الى غير ذلك من وسائل التسهيل والراحة . وربما اعود بجبال آخر الى وصف محاسن الاقامة بهذه الجهة مما يجاورها من القرى فقد قصدتها في الصيف الماضي مع من رغبتني بحسن هوائها وجودة مائها فأقنا هناك على اتم هنا . واوفر سرور وعدت لسان حالي يقول :

شوقى الى تلك الربوع واهلها شوق المرید الى بلوغ مراده

الحب الصادق

لمضرة مكاتبنا الفاضل الاب انثاس الكرملي

حدثنا الاب مريس من المرسلين الاسكوسيين الانكليز الراجع الى بطركية اللاتين الارشليية قال : كنت في سنة ١٠٠٠ في بلاد الصين بقرية كاهن خادم للحمة الصينية في أيام خروج البكر وكنت تزلت قرية اسمها تنكو (Tongou) بين مدينة شنيقنك (Changhiqing) وزاكو (Zaku) فلما جن الليل اذا بطارق يقرع باب غرفتي فقلت له :

من انت !

قال : اني رجل مسيحي اتيتك لانتس منك ان تطوقني مئة فتكون بقرية القلادة

حول عتقي على مدى الدهر